

استعراض كتاب مناصرة الصحابة

الأفارقة للإسلام في عهد النبي ﷺ

للأستاذ الدكتور/ حسن علي الشايقي

للأستاذ الدكتور/ كمال محمد جاه الله الخضر*

صدر حديثاً (في ذي الحجة 1436 - سبتمبر 2015) ضمن سلسلة الإسلام في إفريقيا التي يصدرها معهد مبارك قسم الله للبحوث والتدريب التابع لمنظمة الدعوة الإسلامية في الخرطوم- كتاب مناصرة الصحابة الأفارقة للإسلام في عهد النبي ﷺ لمؤلفه الأستاذ الدكتور/ حسن علي الشايقي، الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية في جامعة إفريقيا العالمية. وقد قامت بطبع الكتاب الذي يحتوي على 142 صفحة من القطع المتوسط- شركة مطابع السودان للعملة المحدودة بالخرطوم.

الكتاب الذي يحمل الرقم (23) ضمن السلسلة المشار إليها- يسلط الأضواء على تاريخ مهمل أو مبعثر، لموضوع تفرقت دماؤه في بطون مصادر أصلية ومراجع مهمة أرخت للتاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً.

اتخذ الكتاب عنواناً محفزاً للقراء على الانجذاب إليه، ومن ثم تصفّحه، والتعمق في قراءته، وذلك أن موضوع الكتاب يعكس جانبا مهما يخص الصحابة الأفارقة ومناصرتهم للإسلام في عهده ﷺ، والذين يقدر عددهم، كما سنعرف لاحقا، بنحو مائة صحابي جليل، لم يكن ليصدق حتى المختصين في الدراسات الإسلامية من المحدثين، ناهيك عن العامة- أن يصل عددهم إلى المائة.

* كلية الآداب- جامعة إفريقيا العالمية

كمال محمد جاه الله الخضر استعراض كتاب مناصرة الصحاب
الكتاب الذي يحمل تقديمًا بقلم الأستاذ الدكتور/ يوسف الخليفة أبو بكر - الخبير
الدولي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مدير المعهد الذي يحمل اسمه
لكتابة اللغات بالحرف العربي في جامعة إفريقيا العالمية- يقول فيه عن الكتاب: إنه
كتاب يسهم في تأصيل العلاقات الإسلامية الإفريقية، ويؤكد الدور التاريخي لأبناء
هذه القارة في بناء الدعوة الإسلامية في فجرها، وتمكينها لها في الأرض.
وفي التقديم نفسه يصف يوسف الخليفة الكتاب بأنه دراسة موثقة، وسوف تكون
حلقة في حلقات الجهود التي قام بها سالفنا، ويقوم بها العلماء والباحثون الأفارقة حاليا
في تأكيد الدور الإفريقي في مناصرة الدعوة الإسلامية منذ نشأتها عبر التاريخ، وإلى
يومنا هذا. ومن ثم فإن الكتاب، وفقا ليوسف الخليفة، لهو أقوى حجة وأنصح دليل
على أن ارتباط إفريقيا بالإسلام، تضرب جذوره في أعماق التاريخ، وأن البحر الأحمر
يشكل همزة الوصل بين السواحل الإفريقية والعربية، وأن الهجرات المتبادلة تفاعلت
قبل ظهور الإسلام وبعده، عطاء روحيا وحضاريا. وأن هذا التفاعل لم يكن في اتجاه
واحد بل في اتجاهين.

لماذا اخترت دراسة الصحابة ذوي الأصل الإفريقي؟ هذا أول سؤال يطرحه
المؤلف حسن علي الشايقي في مقدمته للكتاب، وهو سؤال مفتاحي موضوعي جعل
منه تدشينًا لهذا العمل البحثي المهم، ولهذه الدراسة المتفردة.
يجيب المؤلف بصورة مباشرة تلقائية عن ذلك السؤال المفتاحي، وكأنه يصيغ
إشكالية منهجية لبحث علمي محكم- يجيب قائلا: إنه لاحظ وهو يطالع السيرة
الكريمة وجود عدد معتبر من الصحابة والتابعين من ذوي الأصل الإفريقي، تتأثرت
سيرهم وأخبارهم في الكتب، فرأى أن يحاول جمع ما تيسر له من هذه السيرة العطرة،
لعلها تكون عونًا لأبناء إفريقيا المسلمة الفتية في بيان دورهم الرائد الذي حاول
الاستعمار، قديما وحديثًا، طمس معالمه، ليقطع إفريقيا عن ماضيها الإسلامي التليد.

كمال محمد جاه الله الخضر استعراض كتاب مناصرة الصحاب
يتكون الكتاب من أربعة فصول، تختلف في حجمها وأوزانها العلمية، بالإضافة
إلى مقدمة منهجية وخاتمة، اشتملت على 19 نتيجة. ويخلو الكتاب من أية فهارس
فنية للآيات والأحاديث وأسماء الأعلام والأماكن... كما جرت العادة في هذا النوع
من الكتب.

أفرد المؤلف الفصل الأول، من الكتاب، الذي جاء بعنوان: إفريقيا: لماذا سُميت
بهذا الاسم- أفرد لمناقشة خمسة محاور أساسية، مع ملاحظة أنه من الصعوبة
بمكان القبول بهذا العنوان، معبرا عن تلك المحاور. وهذه المحاور، هي: الهجرات
المتبادلة بين إفريقيا والجزيرة العربية، والعلاقة بين الجزيرة العربية وإفريقيا باعتبارها
مهدا لوجود العنصر الإفريقي بين العرب. والتنافس بين الفرس والروم على سيادة
اليمن، وغلبة أبرهة الأشرم على أمر اليمن، وإفريقيا والإسلام.

الحق أن المؤلف في هذا الجزء من الكتاب تناول المحاور الخمسة على عجل،
وفي شيء من الإجمال، فلم ينزع للوقوف عند تفاصيل تلك المحاور واحدا واحدا.
وأغلب الظن أنه فعل ذلك عن عمد، لأنه رأى أن تلك المحاور مجرد مقدمات
وممهيات للموضوع الأصلي للكتاب، وهي بذلك لا تستحق أن يطرح فيها الكثير من
الأفكار والآراء.

أما الفصل الثاني، من الكتاب، الذي حمل عنوان: "الصحابة من أصل إفريقي"-
فقد ناقش فيه المؤلف جملة من القضايا الحيوية، لعل أهمها التعريف بمن هو
الصحابي، ومن هم الصحابة من أصل إفريقي، ثم تناول بالتفصيل قضية مهمة،
تحت العنوان الفرعي التالي: "الصحابة الأفارقة وثباتهم على الإسلام ودورهم في نشر
الدعوة". وقد خصّ المؤلف بالذكر أحد عشر صحابيا من أصل إفريقي، هم على
التوالي: بلال بن رباح، وأم أيمن- بركة بنت يسار، والنجاشي، وسالم مولى أبي
حنيفة، وأسامة بن زيد، وعمار بن ياسر، وعامر بن فهيرة، وأسلم الحبشي، وأبو بكر،
و سمية أم عمار، ومهجع الحبشي.

كمال محمد جاه الله الخضر استعراض كتاب مناصرة الصحاب
خلال هذا الفصل، الذي أرى أن المؤلف لو توقف عنده، ولم يتبعه بفصلين
تالين لحقق الكتاب أهدافه- خلال هذا الفصل قدم الباحث نماذج للتعريف بالصحابة
ذوي الأصل الإفريقي، ابتداء من بلال بن رباح الذي أخذ نصيب الأسد بالتعريف به،
فقد قام المؤلف بالترجمة له، وبيّن دوره في الدعوة والثبات عليها، ودوره في نشر
العلم. كما بيّن، أيضاً، أن بلالا بن رباح رضى الله عنه كان أكثر الصحابة ذوي
الأصل الإفريقي رواية للأحاديث النبوية بحكم ملازمته للنبي ﷺ، وقيامه على حاجته.
وقد أشار المؤلف إلى أن تلك الأحاديث بحسب ما أورده الطبراني في المعجم الكبير
مائة وعشرين حديثاً، بما في ذلك المكرر، الذي يروى بصيغة واحدة وبطرق مختلفة.
وقد بوّب المؤلف تلك الأحاديث التي رواها بلال بن رباح، رضى الله عنه، بحسب
موضوعاتها إلى:

1-أحاديث الأذان.

2-أحاديث الصلاة.

3-أحاديث الصوم.

4-أحاديث النفقة والبيع.

5-أحاديث في الجهاد.

6-أحاديث الإيمان والبشارة.

بعد أن خصّ المؤلف بلالا بمزيد من التفاصيل عنه، تعريفاً، وترجمة، وإسهاما
في نشر الدعوة، وصبرا عليها، وراوية للأحاديث- تتبّع سير وتواريخ كلّ الصحابة من
ذوي الأصل الإفريقي، الذين ذكرنا أسماءهم قبل قليل، وبيّن فضل كل واحد، وما
اشتهر به، ابتداء من أم أيمن- بركة بنت يسار، والنجاشي... وانتهاء بمهجع
الحبشي، على الترتيب نفسه الذي أشرنا إليه قبل قليل، مع التركيز على تبين دور
كل واحد في مناصرة الدعوة، والثبات عليها. ويتحكم في ما يورد عن كل صحابي من
ذوي الأصل الإفريقي ما تيسر للمؤلف من معلومات متاحة في المصادر والمراجع،

كمال محمد جاه الله الخضر استعراض كتاب مناصرة الصحاب
التي استقى منها تلك المعلومات. فلا غرو بعد ذلك أن نلاحظ أن بعض هؤلاء
الصحابة جاء التعريف به مقتضبا، والبعض الآخر أورد عنه كثيرا من التفصيل.
الحق أن هذا الفصل يعد عمدة هذا الكتاب، لكونه مليئا بالتفاصيل عن كل
صحابي إفريقي، ولكون المؤلف اعتمد فيه على مصادر أساسية في بابها، فقد اعتمد
بصورة أساسية على مؤلفات: ابن جحر العسقلاني، وابن الأثير، وأبو نعيم
الأصبهاني، والطبراني، والنووي، والصنعاني، وابن قدامة، والشوكاني، وغيرهم ممن
يشار إليهم بالبنان في هذا المضمار. علاوة على ذلك، فإن هذا الفصل يعد ألصق
الفصول بعنوان الكتاب، بل المترجم لجميع متغيراته.

حوى الفصل الثالث، الذي اتخذ من "الهجرة إلى الحبشة ودلالاتها" عنوانا له،
مجموعة من القضايا التي ناقشها المؤلف في ضوء مؤلفات قديمة وحديثة، تناولت
مسألة الهجرة إلى الحبشة ودلالاتها. ومن جملة تلك القضايا، وقد طرحها المؤلف في
شكل أسئلة:

- لماذا اختار النبي ﷺ الحبشة؟

- وما دلالات الهجرة إلى الحبشة؟

- وإلى أين هاجر الصحابة؟

وقد أفرد المؤلف للقضية الأخيرة، التي صاغها في سؤاله، إلى أين هاجر
الصحابة؟ حيزا كبيرا، للعرض والنقاش والتحليل، ومن ثم الترجيح. وقد تم كل ذلك في
ضوء مفهوم لفظ السودان عند العرب، وفي ضوء آراء المؤرخين في المنطقة، التي
نزل بها المهاجرون في إفريقيا.

ومن جملة الآراء التي خصها المؤلف بالذكر والعرض والتحليل: رأي البروفسير/
عبد الله الطيب، ورأي البروفسير/ حسن الفاتح قريب الله، ورأي الدكتور/ عبد العزيز
عبد الغني، وكلهم علماء سودانيون لهم صلة مباشرة بعلم التاريخ، لا سيما التاريخ
الإفريقي، ولهم إسهامات في هذا العلم لا يمكن تجاوزها.

كمال محمد جاه الله الخضر استعراض كتاب مناصرة الصحاب
إن أهم ما خرج به المؤلف بعد تمحيص تلك الآراء أن البروفسير/ عبد الله
الطيب، هو أول من أدلى بدلو في هذا الموضوع، فهو قد سبق غيره من العلماء
والمؤرخين في السودان بالقول بأن الهجرة تمت إلى السودان. وأن البروفسير/ حسن
الفتاح قريب الله- يرى أن هجرة الصحابة رضي الله عنهم كانت لأرض السودان
الحالي، وليس لأرض الحبشة، فهو لا ينكر أن الهجرة كانت لبلاد الحبشة، ولكنه
ينكر أن يكون مفهوم الحبشة اسما للبلاد لا لونا للسكان. أما الدكتور/ عبد العزيز عبد
الغني- فقد كان يرى أن الصحابة قد نزلوا قريبا من ساحل البحر الأحمر في منطقة
خور بركة على وجه التحديد. ورأي الدكتور/ عبد العزيز إقرار بأن هجرة الصحابة
كانت للسودان.

وعلى ذلك فإن المؤلف قد ركّز في هذا الفصل على قضية على قدر من الأهمية
عند المؤرخين، لا سيما السودانين منهم، ممن يرون أن هجرة الصحابة كانت
للسودان، وليس للحبشة الحالية. وفي رأبي أن هذه القضية ما يزال الطرح فيها في
بداياته. مع ملاحظة أن هذه القضية حتى اللحظة يتصدى لها علماء سودانيون لا
غير!

في الفصل الرابع من الكتاب، وهو الفصل الأخير منه، والذي جاء بعنوان:
"انتشار الإسلام في إفريقيا"- حاول المؤلف فيه الإجابة عن العديد من الأسئلة،
يتصدرها سؤالان:

الأول: لماذا تقبل الأفارقة الإسلام؟

والثاني: لماذا فتحت النوبة من جهة مصر، ولم تفتح من جهة سواكن؟

وقد تخلل الإجابة عن السؤالين السابقين التركيز على قضايا مهمة، جاءت في

شكل عناوين جانبية، لعل أهمها:

-رسالة النبي ﷺ للمقوقس.

- صلح النوبة وانتشار الإسلام في وادي النيل.

وبما أن القضيتين: الأولى والثانية، من القضايا التي أفاضت فيها كتب التاريخ الإفريقي، فإنه يهمننا أن نستعرض بعضا مما جاء عن القضية الثالثة، وهي أفرقة العلوم.

في الجزء الخاص بأفرقة العلوم ركز المؤلف على تناول ستة علماء أعلام، هم: عطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير، ويزيد بن أبي حبيب، والحسن بن محمد الوزان (ليو الإفريقي)، والعالم الشيخ أحمد بابا التمبكتي، والشيخ عثمان بن فوديو. الذين خصهم المؤلف بالذكر على اعتبار أنهم علماء أفارقة جاءوا بعد عصر الصحابة، وكان لهم دور بارز في العلم ونشره؛ مما يدل على مقدرة الإسلام الفردية في صهر الشعوب والأعراق والقبائل المختلفة في بوتقة واحدة.

ختم المؤلف الفصل الرابع من كتابه بقضية تعدد من القضايا الأمهات في بابها، وهي قضية تكالب اليهود والنصارى على إفريقيا. وقد أوضح المؤلف في هذا الجانب تكالب الاستعمار والكنيسة لتتصير إفريقيا... وأن المبشرين لم ينجحوا في تتصير المسلمين، لكنهم نجحوا في إقصائهم عن دينهم، بما فرضوه عليهم نظام تجهيل وإبعاد عن الإسلام، حتى جعلوا كثيرا منهم يجهلون دينهم. وأضاف المؤلف في هذا المجال أن الاستعمار نجح من خلال هيئات الإغاثة، ومنظمات الأمم المتحدة، وغيرها من المنظمات المسخرة لصالحه، وبطرق مدروسة منظمة من تحويل كثير من القبائل اللادينية إلى المسيحية.

وفيما يخص اليهود، فقد أورد المؤلف ما نصّه "أن الآلة اليهودية نشطت في إيجاد مرتكزات تاريخية لوجودها في إفريقيا تحت دعاوى الإفريقية اليهودية، وأن من اليهود من تشربوا بالدم الإفريقي، وأن هناك يهودا أفارقة، وأفارقة يهودا، على غرار الفلاشا، وعلى غرار ما ينسجون من أن بعض قبائل إفريقيا من سبط بني إسرائيل الضائع، وغيرها من الدعاوى".

كمال محمد جاه الله الخضر استعراض كتاب مناصرة الصحاب
من خلال ما تم استعراضه من قِبَل المؤلف للقضايا في كتابه ذي الفصول
الأربعة- خلص الباحث إلى تسع عشرة نتيجة شملتها خاتمة الكتاب. لعل أهمها ذات
الصلة بعنوان الكتاب المباشر:

1- أن عدد الصحابة من ذوي الأصل الإفريقي (بما فيهم النساء والأطفال) يبلغ حوالي
مائة. ويعد دخولهم في الإسلام إضافة حقيقية، وتأكيدا لعالمية الإسلام في أيامه
الأولى.

2- أن الصحابة ذوي الأصل الإفريقي واجهوا أشد أنواع العذاب، والتكليف في مكة
لافتقارهم لحماية القبيلة، فضربوا المثل في الثبات على عقيدة الإسلام، في أيامه
الأولى.

3- أن للصحابة الأفارقة دورا كبيرا في نشر العلم، ورواية الأحاديث، خاصة كلا من
بلال وأبي بكرة. وقد بلغت أحاديث بلال مائة وعشرين حديثا، تركزت حول الأذان،
والصلاة، وشيء من فقه البيوع؛ لملازمة بلال النبي ﷺ، وكان مؤذنا وخازنا لرسول
الله ﷺ.

صحيح يمكن القول إن الكتاب سلط الأضواء على عدد كبير من القضايا ذات
الصلة العضوية المباشرة بموضوعه، والصحيح أيضا أنه مرّ على بعضها مرور
الكرام، كما يقال عادة، إلا إنه يحمد له أنه جمعها في دفتي كتاب حتى يتم الانتباه
إليها من قبل الباحثين، حتى تكون نقطة ارتكاز لدراسات أوسع وأشمل.

مهما يكن الأمر، فإن موضوع الكتاب تمّ اختياره بعناية فائقة، فلا غرو بعد ذلك
أن يكون عنوانه جاذبا ومحفزا لمطالعة ما أورده المؤلف، الذي كان يؤمن إيمانا قاطعا
بأن للصحابة من ذوي الأصل الإفريقي سبقا في ميادين التصديق، ونصرة الدين،
والثبات عليه- لذلك جاء تناوله واستعراضه ترجمة لذلك الإيمان العميق في حيدة
وموضوعية وعلمية، وشتان بين باحث يكتب عن إيمان وقر في القلب، وآخر يكتب
خلوا منه.